

المكتبة الأولى للأسرة

مُخْتَصَرٌ

خَاتَمُ الْأَوَّلِ

إلى بلاد الأفراح

أَوْصَفَ الْحَيَّةَ

تألیف

ابن قسیم الجوزیہ

الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر

Y01-791

اختصره

الحمد لله رب العالمين

غفر الله له ولوالديه ولزوجته

ولأبنائه والمسلمين



مَدَارُ الْوَطَنِ لِلنَّبِيِّ



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الحادية عشرة

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م



مَدَارُ الْوَطَنِ لِلنَّشْرِ

الدانري الشرقي - مخرج ١٥

الرياض - الملز - ٢ كم غرب أسواق المجد

ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت : www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن الأسرة هي المحضن الأساس للأفراد: تنشئة وتربية ورعاية؛ وهي في هذه المهمات الجسيمة تواجه تحديات كثيرة وكبيرة من الخطورة بمكان، مما يستدعي تزويدها بزاد من العلم والهدى تهتدي به في مواجهة تلك التحديات؛ فليس من شك في أن العلم يعدُّ من أهم دعائم بناء الأسرة المسلمة.

ولا شك أيضاً أن علم السابقين فيه من البركة والفائدة والعمق والشمول أكثر مما في علم المتأخرين، ومن هنا جاءت فكرة هذا المجموع المبارك الذي يحتوي على ستة كتب، وهي:

أولاً: «مختصر رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» هذا الكتاب المبارك الذي كتب الله له القبول والانتشار، فيه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المرتبة على أهم الموضوعات التي تحتاجها الأسرة المسلمة في عمل الدين والدنيا؛ ففيه عقائد، ورفقات، وآداب شرعية، وأحكام فقهية؛ فهو خير أنيس وجليس.

ثانياً: «هدي محمد ﷺ» المتتقى من «زاد المعاد»^(١) فيه ما تنشده الأسرة المسلمة من معرفة لهدي نبيها محمد ﷺ في: عباداته، ومعاملاته، وأخلاقه؛ لتهتدي بهديه، وتستنسب سنته، وتتقني أثره صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: «مختصر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» إذا طالعت الأسرة المسلمة

(١) كان للقبول الطيب والمبارك لهذا الكتاب حيث بيع منه ٨٠٠٠٠٠ نسخة وتُرجم لأهم اللغات، الأثر البالغ في حرصي على إخراج هذه الكتب في سلسلة «مكتبة الأسرة المسلمة» وبيعها بسعر مخفض دعماً من المختصر والطابع والناشر، وأن تكون حقوقها لكل مسلم ليسهل توزيعها في جميع أنحاء العالم.

اشتأقت إلى نعيم الجنة، وتطلعت إلى هذا الفوز العظيم، وبهذا تقوى الإرادة والعزيمة، ويقوى الباعث في القلب للفوز بذلك النعيم المقيم.

رابعاً: «مختصر عدة الصابرين» مما تشتد حاجة الأسرة إليه؛ لأنه في طريقها إلى الله تعالى تتعرض لأنواع من المحن والابتلاءات، من فقد عزيز، أو خسارة مادية، وقد تمرُّ بها كذلك أيام السعادة والفرح والمسرّات، وللمؤمن موقفٌ عند الشدة وعند النعمة، وهو الصبر والشكر.

خامساً: «مختصر الداء والدواء» من الأهمية بمكان؛ لأن الذنوب والمعاصي من أهم أسباب فساد الأسر وخراب البيوت، فكان من المناسب اختصاره؛ لتحذر الأسرة المسلمة من الوقوع في هذه الآفات، وتذكر عواقبها وآثارها السيئة على الفرد والأسرة والمجتمع، بل على الأمم والشعوب.

سادساً: «مختصر الفوائد» مناسبٌ لأفراد الأسرة المسلمة؛ لشغل أوقات الفراغ بما يبعث على النشاط ويدفع الملل، لما فيه من الفوائد اللطيفة، والمعاني الطريفة، وما على القارئ إلا أن يتتقى ما شاء منها.

وبعد... فهذه نبذة مختصرة عن هذا المجموع المبارك، نسأل الله تعالى أن ينفع به مؤلفه ومعدّه وقارئه وكل من ساهم في نشره..

د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
كلية التربية - جامعة الملك سعود
dralmazyad@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله الذي جعلَ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ لعباده المؤمنينَ نُزُلًا، وسرَّهم للأعمالِ الصَّالحةِ الموصلةِ إليها فلم يَتَّخِذُوا سِوَاهَا شُغْلًا، وسَهَّلَ لَهُمَ طَرَقَهَا فسلَكُوا السَّبِيلَ الموصلةَ إليها ذُلُلًا، وحجَّباها بالمكَّارِ؛ لِيَلُوهُم أَتْيَهُم أَحْسَنَ عَمَلًا، وجعلَ ميعادَ دخولها يومَ القُدومِ عليه، وضربَ مُدَّةَ الحِياةِ الفانيةِ دونه أَجَلًا، وأودعها ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ.

وأشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وحده لا شريكَ له، وأشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ، وأَمِينُهُ على وَحْيِهِ وخيرُتُهُ من خَلْقِهِ، أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، بعثه للإيمانِ منادِيًا، وإلى دارِ السلامِ داعِيًا، أَرْسَلَهُ على حينِ فَتْرَةٍ من الرسلِ، فهدى به إلى أقومِ الطُّرُقِ، وأوضحِ السُّبُلِ، وافترضَ على العبادِ طاعته ومحبَّتَه، وتعزيزَه وتوقيرَه والقيامَ بحقوقِهِ، وسَدَّ إلى الجنةِ جميعَ الطُّرُقِ فلم يفتَحْها لأحدٍ إِلاَّ من طريقِهِ، فلو أَتَوْا من كُلِّ طريقٍ، واستفتَحُوا من كلِّ بابٍ لما فُتِحَ لَهُمَ حَتَّى يَكُونُوا خَلْقُهُ مِنَ الدَّاخِلِينَ، وعلى منهاجِهِ وطريقِهِ من السَّالِكِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقَهُ عَبَثًا، ولم يتركْهُمْ سُدىً، بل خَلَقَهُمْ لأَمْرِ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَسِيمٍ، عُرِضَ على السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

والجبالِ فابِينَ وأشفَقْنَ منه إشفاقًا ووجَلًا، وحمله الإنسانُ على ضعفه وعجزه عن حمله، وباءَ به على ظلمه وجهله، فألقى أكثرُ النَّاسِ الحملَ عن ظهورهم لشدة مؤونته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة، لا ينظرون في معرفة مُوجِدِهِم وحقِّه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريقٌ ومَعْبَرٌ إلى دارِ القرارِ، ولا يتفكِّرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسُرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعثُ الحسِّ، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة وغرَّتْهم الأمانى الباطلة، والخدعُ الكاذبة، فخدعهم طولُ الأملِ، ورانَ على قلوبهم سوءُ العملِ، فهمُّهم في لذاتِ الدنيا، وشهواتِ النفوسِ كيف حصَلَتْ حصَلَوْها، ومن أيِّ وجهٍ لاحت لهم أخذوها، إذا أُبْدي لهم حظٌّ من الدنيا بأخرتهم طاروا إليه زرافاتٍ^(١) ووحدانًا، وإذا عَرَضَ لهم عاجلٌ من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابًا من الله ولا رضوانًا.

﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

ولما عَلِمَ الموفقون ما خُلِقُوا له، وما أُريدَ بإيجادهم رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلِمَ الجنةَ قد رُفِعَ لهم فشمروا إليه، ورأوا من أعظمِ الغِنَى بيعُ ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلبِ بشرٍ في أبدٍ لا يزول، ولا ينفدُ بصبابة عيشٍ إنما هو كأضغاثِ أحلامٍ، أو كطيفِ زارٍ في المنام، مشوبٍ بالنَّعْصِ، ممزوجٍ بالغُصَصِ، إن أضحك قليلًا أبكى كثيرًا، وإن سرَّ يومًا

(١) الزرافات: جمع زرافة، وهي الجماعة من الناس.

أَحْزَنَ شَهْرًا. آلامُهُ تَزِيدُ عَلَى لَذَّاتِهِ، وَأَحْزَانُهُ أضعافُ أضعافِ مَسَرَّاتِهِ، وَأَوَّلُهُ مَخَافٌ وَآخِرُهُ مَتَأَلَفٌ.

وهذا كتابٌ اجتهدتُ في جمعه وترتيبه، وتفصيله وتبويبه، فهو لِلْمَحْزُونِ سَلَوَةٌ، وَلِلْمُشْتَاكِ إِلَى تِلْكَ الْعِرَائِسِ جَلْوَةٌ، مُحَرِّكٌ لِلْقُلُوبِ إِلَى أَجَلٍ مَطْلُوبٍ، وَحَادٍ لِلنَّفُوسِ إِلَى مَجَاوِرَةِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، مُتَمِّعٌ لِقَارِئِهِ، مَشْوِقٌ لِلنَّاظِرِ فِيهِ، لَا يَسْأَمُهُ الْجَلِيسُ، وَلَا يَمَلُّهُ الْأَنْيَسُ.

إِذَا نَظَرَ فِيهِ النَّاظِرُ زَادَهُ إِيمَانًا، وَجَلَّى عَلَيْهِ الْجَنَّةَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَشَاهِدُهَا عِيَانًا. فَهُوَ مَثِيرٌ سَاكِنِ الْعِزَمَاتِ إِلَى رَوْضَاتِ الْجَنَاتِ، وَبَاعِثُ الْهَمَمِ الْعَلِيَّاتِ إِلَى الْعَيْشِ الْهَنِيِّ فِي تِلْكَ الْغُرَفَاتِ، وَاسْمِيتهُ: "حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ" فَإِنَّهُ اسْمٌ يَطَابِقُ مُسَمَّاهُ، وَلَفْظٌ يُوَافِقُ مَعْنَاهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا قَصَدْتُ، وَمَا بَجَمْعِهِ وَتَأْلِيفِهِ أَرَدْتُ.

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ خَالصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، مُدْنِيًا لِمُؤَلَّفِهِ وَقَارِئِهِ وَكَاتِبِهِ مِنْ جَنَّاتِ النِّعَمِ، وَأَنْ يَجْعَلَ حُجَّةً لَهُ، وَلَا يَجْعَلَ حُجَّةً عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ مَنْ انْتَهَى إِلَيْهِ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

في بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحابُ رسولِ الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهلُ السُّنة والحديثِ قاطبةً، وفقهاءُ الإسلامِ وأهلُ التَّصوف والزُّهدِ على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوصِ الكتابِ والسُّنة، وما علِمَ بالضرورة من أخبارِ الرسل كلَّهم من أوَّلهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأُمم إليها، وأخبروا بها.

ولهذا يذكرُ السَّلفُ في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان.

* وقد دلَّ على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۖ﴾ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢

الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة".

* وفي الصحيحين^(١): من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار: يا رب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون. فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها".

* * *

في ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال في صفة النار: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

* وفي الصحيحين^(٢): عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: "في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون".

* وفي الصحيحين^(٣): عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من أنفق

(١) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) البخاري (٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢).

(٣) البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

زَوْجَيْنِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ". فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ فقال: "نعم، وأرجو أن تكونَ منهم".

وفي صحيح مسلم^(١) عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: "ما منكم من أحدٍ يتوضأُ فَيُبَلِّغُ - أَوْ يَسْبِغُ - الوضوءَ ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ".

* * *

في ذكر سعة أبوابها

* عن أبي هريرة قال: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ، فَتَنَاوَلَ الدَّرَاعَ - وَكَانَ أَحَبَّ الشَّاءِ إِلَيْهِ - فَنَهَسَ نَهْسَةً^(٢) وقال: "أنا سيدُ الناسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ثم نهَسَ أُخْرَى وقال: "أنا سيدُ الناسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

(١) مسلم (٢٣٤).

(٢) نهَسَ بالسين، معناه: أخذه بمقدم أسنانه، ونهَشَ بالشين: أخذه بأسنانه وأضراسه جميعاً.

فلما رأى أصحابه لا يسألونه، قال: "ألا تقولون كيف؟" قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: "يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر" فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال في آخره "فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربي، فيقيمني رب العالمين، مقاما لم يقمهُ أحدًا قبلي ولن يُقيمهُ أحدًا بعدي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: يا محمد أَدْخِلْ من أمتك مَنْ لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَرَ، أو هَجَرَ ومكة" وفي لفظ "لكما بين مكة وهَجَرَ، أو كما بين مكة وبصرى" متفق على صحته^(١).

* وعن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: "أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا، وليأتينَّ عليه يومٌ وله كَظِيطٌ"^(٢).

* * *

في صفة أبوابها وأنها ذاتُ خَلْقٍ

عن الحسن ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، قال: أبواب تُرى. وذكر أيضًا عن خُليد عن قتادة قال: أبواب يُرى ظاهرها من باطنها وباطنُها من ظاهرها تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها: انفتحي انغلقي.

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) المسند (٣/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٧/١٠): رجاله ثقات.

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها^(١)" وهذا صريح في أنها حلقة حسية تحرك وتقعق.

* * *

في مفتاح الجنة

* عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: "مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" رواه الإمام أحمد في مسنده ولفظه "مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"^(٢).

وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به، فجعل مفتاح الصلوة الطهور كما قال ﷺ: "مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطَّهْوَرُ"^(٣) ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرغبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له في الحب

(١) الترمذي (٣١٤٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) المسند (٢٤٢/٥).

(٣) أبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وقال الترمذي: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن.

والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبّر القرآن والتضرّع
بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق
والسعي في نفع عبیده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى،
ومفتاح العِزِّ طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل،
ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حبُّ الدنيا
وطولُ الأمل.

وهذا بابٌ عظيمٌ من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير
والشر، لا يُوفَّق لمعرفة ومراعاته إلا من عظم حظُّه وتوفيقه، فإنَّ الله
سبحانه وتعالى جعل لكلَّ خيرٍ وشرٍّ مفتاحًا وبابًا يُدخل منه إليه، كما جعل
الشركَ والكبرَ والإعراضَ عما بعثَ الله به رسوله، والغفلةَ عن ذكره والقيامَ
بحقه مفتاحًا للنار، وكما جعلَ الخمرَ مفتاحَ كُلِّ إثمٍ، وجعل الغنى مفتاحَ
الزنى، وجعل إطلاقَ النظر في الصُّور مفتاحَ الطلب والعشق، وجعل
الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر،
وجعل الكذب مفتاح النفاق، وجعل الشُّحَّ والحرص مفتاح البخل وقطيعة
الرحم وأخذ المال من غير حلِّه، وجعل الإعراضَ عما جاء به الرسول مفتاح
كُلِّ بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إنَّا كُلٌّ من له بصيرة صحيحة، وعقل
يَعْرِف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر، فينبغي للعبد أن يعتني كُلَّ
الاعتناء بمعرفة المفاتيح، وما جعلت المفاتيح له، والله من وراء توفيقه وعدله، له

الملك وله الحمد وله النعمة والفضل، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

* * *

في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ﴿٥١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
عِلْيُون ﴿٥٢﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٥٣﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [المطففين: ١٨ - ٢١] فأخبر تعالى
أن كتابهم كتاب مرقوم؛ تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابةً حقيقيةً، وخصّ كتاب
الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقرّبين من الملائكة والنبیین
وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار؛ تنوياً بكتاب
الأبرار وما وقع لهم به، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواصّ خلقه، كما يكتب
الملوك تواقيع من تُعظّمه بين الأمراء وخواصّ أهل المملكة؛ تنوياً باسم
المكتوب له وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وملائكته على
عبده.

* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة، فجلس
رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأنّ على رؤوسنا الطير وهو يُلحّد
له، قال: "أعوذ بالله من عذاب القبر" ثلاث مرات. ثم قال: "إنّ المؤمن
إذا كان في إقبالٍ من الآخرة وانقطع من الدنيا، تنزلت إليه الملائكة كأنّ
على وجوههم الشّمس، مع كلّ واحدٍ منهم كفنٌ وحنوطٌ، فجلسوا منه

مدَّ بصره، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانٍ قال: فتخرجُ تسيلُ كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها؛ فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وجدت على وجه الأرض.

قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعني على ملا من الملائكة - إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونها بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، ويشيعه من كل سماءٍ مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: مَنْ ربُّك؟ فيقول: ربِّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنتُ به وصدَّقْتُ.

قال: فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة.

قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسخ له في قبره مدَّ بصره.

قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجهِ حسنُ الثيابِ طيبُ الريحِ، فيقولُ: أبشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومُكَ الذي كنت تُوعِدُ، فيقولُ له: مَنْ أَنْتَ؟ فوجهُك الوجه الذي يَحييُ بالخيرِ؟ فيقول: أنا عملُكَ الصالحُ، فيقولُ: ربِّ أقم الساعةَ، ربِّ أقم الساعةَ حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبدَ الكافرَ إذا كَانَ في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرةِ، نَزَلَ إليه من السماءِ ملائكةٌ سودُ الوجوهِ، معهم المسوحُ، فيجلسون منه مدَّ البصرِ، ثم يحييهِ ملكُ الموتِ حتى يجلسَ عندَ رأسِهِ، فيقولُ: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ.

قال: فتفرَّقُ في جسديهِ فينتزعُها كما يُنتزعُ السَّفودُ من الصُّوفِ المبلولِ فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعُوها في يديهِ طرفَةً عينٍ حتى يجعلوها في تلك المسوحِ، ويخرجُ منها كأنَّ رِيحَ جيفةٍ وُجدت على وجهِ الأرضِ، فيصعدونَ بها، فلا يمرونَ بها على ملأٍ من الملائكةِ إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فلانُ ابنُ فلانٍ، بأقبحِ أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا حتى يُنتهى إلى سماءِ الدنيا فيُستفتحُ له فلا يفتحُ له، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

«فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَهُ في سَجِّينٍ في الأرضِ السفلى، وتُطرحُ روحُهُ طرْحًا، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعادُ

روحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فِي جِلْسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ:
 هَاهُ هَاهُ!!! لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟
 فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي.

فَيَنَادِي مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَأَفْرُسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ
 بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ
 أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ مَمْتَنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ لَهُ:
 أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟
 فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ:
 رَبِّ لَا تَقُمْ السَّاعَةَ^(١).

* * *

فِي تَوْحِيدِ طَرِيقِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ

هَذَا يَمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى خَاتَمِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
 عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا طَرِيقُ الْجَحِيمِ: فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَلِهَذَا يُوحَّدُ سَبْحَانَهُ سَبِيلُهُ
 وَيَجْمَعُ سُبُلَ النَّارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
 تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وَقَالَ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ
 السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ [النحل: ٩] أَي: وَمِنَ السَّبِيلِ جَائِزٌ عَنِ الْقَصْدِ وَهِيَ

(١) أَبُو دَاوُدَ (٤٧٥٣)، وَالْمُسْنَدُ (٤/٢٨٧، ٢٩٥).

سَبِيلَ الْغَيِّ، وَقَالَ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحجر: ٤١]، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: خَطٌّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا وَقَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ" ثُمَّ خَطَّ خَطْوَةً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ، وَعَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الْآيَةَ^(١).

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴿[المائدة: ١٥ - ١٦] قِيلَ: هِيَ سُبُلٌ تُجْمَعُ فِي سَبِيلٍ وَاحِدٍ، وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْجَوَادِ وَالطَّرِيقِ فِي الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ، فَهَذِهِ هِيَ شُعْبُ الْإِيمَانِ يَجْمَعُهَا الْإِيمَانُ، وَهُوَ شُعْبَةٌ كَمَا يَجْمَعُ سَاقُ الشَّجَرَةِ أَغْصَانَهَا وَشُعْبَهَا، وَهَذِهِ السَّبُلُ هِيَ إِبْجَابَةُ الدَّاعِيِ اللَّهُ بِتَصْدِيقِ خَيْرِهِ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ، وَطَرِيقُ الْجَنَّةِ هِيَ إِبْجَابَةُ الدَّاعِيِ إِلَيْهَا لَيْسَ إِلَّا.

* وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ^(٢) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: "جَاءَتْ مَلَائِكَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَيْنُ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبُ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لَصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا فَأَضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالُوا: مِثْلُهُ مِثْلُ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدِبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَّ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدِبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَّ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدِبَةِ،

(١) ابْنُ مَاجَه (١١) فِي الْمَقْدَمَةِ، بَابُ اتِّبَاعِ السَّنَةِ، وَالدَّارِمِيُّ (١/ ٦٧ - ٦٨) فِي الْمَقْدَمَةِ، بَابُ فِي كِرَاهِيَةِ اخْتِذِ الرَّأْيِ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ (١٧٤١) فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ.
(٢) الْبُخَارِيُّ (٧٢٨١).

فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان،
الدار: الجنة، والداعي: محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى
محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس".

* * *

في درجات الجنة

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ
عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥ - ٩٦].

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة، ثم أوقعه ثانياً بدرجات،
ف قيل: الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني: بين القاعد بلا عذر
والمجاهد. وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿
[آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

* وفي الصحيحين^(١) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ أهل الجنة ليترءون أهل الغرف من فوقهم كما يترءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم" قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: "بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" ولفظ البخاري: "في الأفق" وهو أين، والغابر: هو الذاهب الماضي الذي قد تدلَّى للغروب، وفي التمثيل به - دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى - فائدتان:

- إحداهما: بُعْده عن العيون.

- والثانية: أنَّ الجنة درجات، بعضها أعلى من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلى، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله، والله أعلم.

* وفي الصحيحين^(٢) أيضاً من حديث سهل بن سعد ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ أهل الجنة ليترءون أهل الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء".

* وفي المسند^(٣) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه".

وهذا صريح في أنَّ درج الجنة تزيد على مائة درجة.

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٢) البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠).

(٣) المسند (٤٠/٣).

في ذكرِ أعلى درجاتِها، واسمِ تلك الدرجةِ

* روى مسلم في صحيحه^(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: "إذا سمعتمُ المؤذّنَ فقولوا مثلَ ما يقول، ثم صلُّوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلّوا اللهَ لي الوسيلةَ، فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تنبغي إلا لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمن سأل لي الوسيلةَ حلّت عليه شفاعتي".

* وفي الصحيحين^(٢) من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال حينَ يسمُعُ النِّداءَ: اللهم ربّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ القائمةِ آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ والدرجةَ الرفيعةَ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، إلّا حلّت له الشفاعة يومَ القيامة".

ولما كان رسولُ الله ﷺ أعظمَ الخلق عبوديةً لربه، وأعلمهم به، وأشدّهم له خشيةً، وأعظمهم له محبةً، كانت منزلته أقربَ المنازلِ إلى الله، وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان، وأيضًا فإن الله سبحانه قدّرها له بأسباب منها: دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) البخاري (٦١٤)، والذي في مسلم الحديث السابق (٣٨٤).

في عرض الربّ تعالى سلعته الجنّة على عباده،
وثنمها الذي طلبه منهم، وعقد التبايع
الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].
فجعل سبحانه الجنّة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بذلوا فيه استحقوا الثمن، وعقد معهم هذا العقد.

* وفي جامع الترمذي^(١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزَلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ".

* وفي الصحيحين^(٢) عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ فَبَشَّرَنِي - أَنَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ".

* وفي الصحيحين^(٣) من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله

(١) الترمذي (٢٤٦٠).

(٢) البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤).

(٣) البخاري (٣٤٣٥١)، ومسلم (٢٨).

ﷺ: "مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ".
وهاهنا أمرٌ يجب التنبيه عليه: وهو أَنَّ الجنة إنما تُدْخَلُ برحمة الله وليس عملُ العبدِ مستقلاً بدخولها، وإن كان سبباً، ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨] ونفى رسولُ الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: "لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ" ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

- أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره، قال: كانوا يقولون النجاة من النار بعفوِ الله، ودخولُ الجنة برحمته، واقتسامُ المنازلِ والدرجاتِ بالأعمالِ، ويدلُّ على هذا حديثُ أبي هريرة ؓ الذي سيأتي إن شاء الله: "أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ" رواه الترمذي^(١).

- والثاني: أَنَّ الباءَ التي نفَتْ الدخولَ هي بَاءُ المُعَاوَضَةِ، التي يكون فيها أحدُ العوضين مقابلاً للآخر، والباءُ التي أثبتت الدخولَ هي بَاءُ السَّبَبِيَّةِ التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بحصوله.
وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله: "سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشُرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَنْجُوَ بِعَمَلِهِ" قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

(١) الترمذي (٢٥٤٩).

"ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته" (١).

ومن عرف الله سبحانه وشهدَ مشهدَ حقه عليه، ومشهدَ تقصيره وذنوبه، وأبصرَ هذينَ المشهدينَ بقلبه عرفَ ذلكَ وخبره وجزمَ به، واللهُ المستعانُ.

* * *

في طلبِ أهلِ الجنةِ لها من ربِّهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربِّها عزَّ وجلَّ

قال تعالى حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۖ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٤].

والمعنى: وآتانا ما وعدتنا على السنةِ رُسُلِكَ من دخولِ الجنةِ.

وتأمل كيف تضمَّنَ إيمانُهم به الإيَّانَ بأمره ونهيهِ ورُسُلِهِ ووعدِهِ ووَعِيدِهِ وأَسْمَائِهِ وصفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ وَصَدَقَ وَعْدِهِ والخوفِ من وعيدِهِ واستجابَتِهِمْ لأمرِهِ، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالى، فبذلك صحَّ لهم التوسُّلُ إلى سِوَالِ ما وعدَهم به والنجاة من عذابه.

(١) البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

وأحبُّ خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحبُّ الملحِّين في الدُّعاء، وكلما ألحَّ العبدُ عليه في السؤال أحبَّه وقَرَّبه وأعطاه؛ وفي الحديث "من لم يسألِ اللهَ يَغْضَبْ عليه"^(١) فلا إلهَ إلا هو، أيّ جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان، وحالت بين القلوب وبين معرفة ربِّها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله؟! ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقد روى أبوداود في سننه^(٢) من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي ﷺ قال للفتى - يعني الذي شكاه -: "كيف تصنعُ يا ابن أخي إذا صليت؟" قال: أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة وأعوذُ به من النار، وإني لا أدري ما دَنَدَنْتُكَ ودندنة معاذ. فقال النبي ﷺ: "إني ومعاذًا حولها نُدْنِدُنُ".

* * *

في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها

- * الاسم الأول: الجنة وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرّة الأعين.
- * الاسم الثاني: دار السلام، وقد سمّاها الله بهذا الاسم في قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ

(١) الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧) بألفاظ متقاربة، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) أبوداود (١٦٧٢).

الَسَّلَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿[الأنعام: ١٢٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]، وهي أحقُّ بهذا الاسم، فإنها دارُ السلامة من كُلِّ بليَّةٍ وآفةٍ ومكروهٍ، وهي دارُ الله، واسمه سبحانه السلام الذي سلَّمها وسلَّم أهلها ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] والربُّ سبحانه يُسلم عليهم من فوقهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدْعُونَ﴾ ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٧ - ٥٨].

* الاسم الثالث: دار الخلد، وسُمِّيت بذلك لأنَّ أهلها لا يظعنون عنها أبداً، كما قال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَّا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] وقال: ﴿أَكُلُهَا ذَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

* الاسم الرابع: دار المقامة، قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٤ - ٣٥].

* الاسم الخامس: جنة المأوى، قال تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] وقال في النار: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٩] وقال: ﴿وَمَا أَوْلَكُمْ النَّارُ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

* الاسم السادس: جنات عدن، فقيل: هو اسم جنّة من جملة الجنان، والصحيح أنه اسم لجملة الجنان، فكلها جنّات عدن، قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢].

* الاسم السابع: دار الحيوان، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والمراد الجنة عند أهل التفسير.

* الاسم الثامن: الفردوس قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠ - ١١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [٤٧] خَالِدِينَ فِيهَا ﴿[الكهف: ١٠٧ - ١٠٨] والفردوس: اسم يُقال على جميع الجنة، ويُقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات. قال حسان:

وإن ثواب الله كلّ مخلد . جنّان من الفردوس فيها يُخلدُ

* الاسم التاسع: جنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨] وهذا أيضًا اسمٌ جامعٌ لجميع الجنّات لما تضمّنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصُّور والرائحة الطيّبة والمنظر البهيّج والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

* الاسم العاشر: المقام الأمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿[الدخان: ٥١ - ٥٢] والمقام: موضع الإقامة، والأمين: الأمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد، والبلد الأمين: الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها، فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً.

* الاسم الحادي عشر والثاني عشر: مقعد الصدق وقدم الصدق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ في مَقْعَدٍ صَدْقٍ ﴿[القمر: ٥٤ - ٥٥] فسمي جنته مقعد صدق؛ لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها.

ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامناً على الله، وهو دخوله وخروجه بالله والله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلياً في أمر وخارجاً من أمر، فمتى كان دخوله بالله والله وخروجه كذلك، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق.

في عدد الجنات

الجنة: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور، وهي جنات كثيرة جداً، كما روى البخاري في صحيحه^(١) عن أنس بن مالك أن أمّ الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سُرّاقة أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا تُحدّثني عن حارثة؟ - وكان قُتِلَ يوم بدر أصابه سهمٌ غَرَبَ - فإن كان في الجنة صَبَرْتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء، قال: "يا أمّ حارثة، إنها جنانٌ في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى".

* وفي الصحيحين^(٢) من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: "جنتان من ذهبٍ آتيتُهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضةٍ آتيتُهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبرياء على وجهه في جنةٍ عدنٍ".

وقد قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] فذكرهما ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٦٢] فهذه أربع.

* * *

(١) البخاري (٢٨٠٩)، ومعنى سهمٌ غَرَبَ: أي لا يُعرف راميهِ، ولا من أين أتى، أو جاء على غير قصد.

(٢) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، ولفظه عندهما: "جنتان من فضة": آتيتُهما وما فيهما، و"جنتان من ذهب": آتيتُهما وما فيهما..."

في خلقِ الربِّ تبارك وتعالى بعضَ الجنانِ، وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائرِ الجناتِ

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه، وخصَّها بالقرب من عرشه، وغرَسها بيده، فهي سيِّدة الجنان، والله سبحانه يختار من كُلِّ نوع: أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريلَ، ومن البشر محمداً ﷺ، ومن السماوات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر الشهر المحرم، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلوات، إلى غير ذلك، فهو سبحانه ﴿تَخَلَّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

* وقد روى مسلم في صحيحه^(١) عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: "سأل موسى عليه السلام ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: رجلٌ يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: [أي] رب! كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلِكٍ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيتُ رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيتُ رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ،

(١) مسلم (١٨٩).

غرسْتُ كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها فلم تَرَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يُخْطَرُ على قلب بشر" قال: ومصادقه من كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

* * *

في ذكر بوابي الجنة وخزنتها، واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] والخزنة: جمع خازن، مثل حفظة وحافظ، وهو المؤمن على الشيء الذي قد استحفظه.

* وروى مسلم في صحيحه^(١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: مَنْ أَنْتَ؟ فأقول: محمدٌ، فيقول: بك أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ".

* وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه^(٢): "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةٍ بَابٍ: أَيُّ قُلٍّ، هَلُمَّ" قال أبو بكر: يا رسول الله ذاك الذي لَا تَوَى عليه. فقال النبي ﷺ: "إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ".

لَمَّا سَمَتِ هِمَّةُ الصَّدِيقِ إِلَى تَكْمِيلِ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ، وَطَمَعَتْ نَفْسُهُ أَنْ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: هَلْ يَحْصُلُ ذَلِكَ لِأَحَدٍ

(١) مسلم (١٩٧).

(٢) البخاري (٢٨٤١)، ومسلم (١٠٢٧)، وقُلٌّ: منادى مُرَحِّمٍ أَي: يا فلان، لَا تَوَى: لَا هَلَكَ.

من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله، وبشّره بأنه من أهله.

فكانه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيُدعى يوم القيامة من أبوابها كُلّها؟ فله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس!!
وقد سمّى الله سبحانه كبيرَ الخزنة رضوان، وهو اسم مشتقٌّ من الرِّضا، وسمّى خازنَ النارِ مالكا، وهو اسم مشتقٌّ من الملك، وهو القوّة والشّدّة، حيث تصرّفت حروفه.

* * *

في ذكر أول من يقرع باب الجنة

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أول الناس خروجًا إذا بُعِثُوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وقّدوا، وشافعهم إذا حُسِّسوا، وأنا مبشّرهم إذا أيسّوا، لواءُ الحمد بيدي، ومفاتيحُ الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ يومئذ على ربي ولا فخر، يطوفُ عليّ ألفُ خادمٍ كأنهم اللؤلؤ المكنون"^(١).

* وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث المختار بن فلفل عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أكثرُ النَّاسِ تَبَعًا يومَ القيامةِ، وأنا أولُ من يقرعُ بابَ الجنةِ".

(١) الترمذي (٣٦١٠)، وقال هذا حديث حسن غريب.

(٢) مسلم (١٩٦).

في ذكر أول الأمم دخولا الجنة

* في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "نحنُ السَّابِقُونَ الأوَّلُونَ يومَ القيامةِ، يَبْدَأُهم أوتُوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم".

* وفي صحيح مسلم^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "نحنُ الآخرونَ الأوَّلُونَ يومَ القيامةِ، ونحنُ أوَّلُ من يدخلُ الجنةَ، يَبْدَأُهم أوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلَفُوا فهدانا الله لما اختلفُوا فيه من الحقِّ بإذنه".

فهذه الأمةُ أسبَقُ الأمم خروجا من الأرض، وأسبَقهم إلى أعلى مكانٍ في الموقف، وأسبَقهم إلى ظلِّ العرش، وأسبَقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبَقهم إلى الجواز على الصُّراط، وأسبَقهم إلى دخول الجنة، فالجنة محرَّمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ، ومحرَّمة على الأمم حتى تدخلها أمته.

* * *

في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة، وصفاتهم

* في الصحيحين^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أوَّلُ زُمرَةٍ تَلْجُ الجنةَ صُورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يَنْصُقُونَ فيها، ولا

(١) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) مسلم (٨٥٥).

(٣) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ فِيهَا، آتَتْهُمْ وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمَسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ؛ يُرَى مُخٌ سَوْقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا".

* وقال الإمام أحمد^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَمْ يَشْغَلْهُ رِقُّ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَفَقِيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ. وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِي حَقَّ اللَّهِ مِنْ مَالِهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ".

* وروى^(٢) عن عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: "هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ تُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَةُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا نَحْنُ مَلَائِكَتُكَ وَخَزَنَتُكَ وَسَكَانُ سَمَاوَاتِكَ، لَا تَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ قَبْلَنَا، فَيَقُولُ: عِبَادِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، تُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَةُ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ لَهَا قَضَاءً، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ﴾ [الرعد: ٢٤].

* * *

(١) المسند (٢/٤٢٥، ٤٧٩).

(٢) المسند (٢/١٦٨).

في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

* روى الترمذي^(١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً".

* وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً".

* * *

في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

* قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١١٢] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [١١٣] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ [١١٤] أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦] فأخبر أنه أعدَّ الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين، فذكر بذلهم للإحسان في

(١) الترمذي (٢٣٥٥)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) مسلم (٢٩٧٩).

حالة العسر واليسر والشدة والرخاء، فإن من الناس مَنْ يبذل في حال اليسر والرخاء، ولا يبذل في حال العسر والشدة، ثم ذكر كفّ أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم، وحبس الانتقام بالعفو.

ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار، وترك الإصرار، فهذا حالهم مع الله، وذاك حالهم مع خلقه.

* وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فأخبر تعالى أنه أعدّها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان، فلا مطعم لمن خرج عن طريقهم فيها.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤] فوصفهم بإقامة حقّه باطنًا وظاهرًا وبإداء حقّ عبادته.

* وفي صحيح مسلم^(١) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: "ألا إنّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ممّا علّمني من يومي هذا، كلّ مالٍ نحلّته عبداً حلالاً، وإنّي خلقت عبادي

(١) مسلم (٢٨٦٥).

حَتَفَاءَ كُلِّهِمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ. وَأُنْزِلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَاتِمًا وَيَقْظَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَنْلَغُوا رَأْسِي، فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا أَخْرَجُوكَ، وَاغْزِهُمْ نَغْرَكَ، وَأَنْفَقْ فَسَتَنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبِيعَ خَمْسَةِ مِثْلِهِ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْغُونَ فِيكُمْ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ، إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يَصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يَخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ " وَذَكَرَ الْبَخْلَ، أَوِ الْكَذِبَ " وَالشُّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ " وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ " .

وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف، ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] . فنسأل الله أَنْ يجعلنا منهم بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

* * *

في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ

* في الصحيحين^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: "أما تَرْضَوْنَ أن تكونوا رُبْعَ أهل الجنة؟" فكبرنا، ثم قال: "أما تَرْضَوْنَ أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة؟" قال: فكبرنا، ثم قال: "إني لأرجو أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض".

* وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفاً"^(٢).

* * *

في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وكذلك هم في النار

* ثبت في الصحيحين^(٣) من حديث أيوب، عن محمد بن سيرين قال: إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكُرُوا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أو لم يقل أبو القاسم رضي الله عنه: "إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالتِّي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ

(١) البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) وهذا لفظ مسلم.

(٢) الترمذي (٢٥٤٦)، والمسنَد (٣٤٧/٥)، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٣) البخاري (٣٢٤٥) و(٣٢٤٦) و(٣٢٥٤) بالفاظ متقاربة، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.

زوجتان اثنتان، يرى مُنح سُوَقهما من وراء اللحم، وما في الجنة عَزْبٌ".
فإن كُنَّ من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإن كُنَّ من
الخور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر.
والظاهرُ أَنهنَّ من الخور العين.

* ومن حديث جابر المتفق عليه: شهدتُ مع رسول الله ﷺ العيد، صَلَّى قبل أن
يخطبَ بغيرِ أَذانٍ ولا إقامةٍ، ثم حَظَبَ بعدما صَلَّى فوعظَ الناسَ وذكرَهم،
ثم أتى النساءَ فوعظهنَّ، ومعه بلال، فذكرهنَّ وأمرهنَّ بالصدقةِ، قال:
فجعلتِ المرأةُ تُلقِي خاتمها، وخُرَصَها، والشَّيءَ كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالاً
فجمع ما هناك، قال: "إنَّ منكنَّ في الجنةَ ليسيرٌ"، فقالت امرأة: يا رسول الله
لِمَ؟ قال: "إنكن تُكثِرْنَ اللعنَ، وتكفُرْنَ العشيرَ"^(١).

وهذا يدل على أَنهنَّ إنما كُنَّ في الجنةِ أكثرَ بالخورِ العينِ التي خُلِقْنَ في
الجنةِ، وأقلَّ ساكنيها نساء الدنيا، فنساءُ الدنيا أقلُّ أهلِ الجنةِ وأكثرُ أهلِ
النارِ، أما كونهنَّ أكثرَ أهلِ النارِ فلما روى البخاري في صحيحه^(٢) من حديث
عِمْرانَ بن حصين رضي الله عنها قال: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال:
"اطلعتُ في النارِ فرأيتُ أكثرَ أهلها النساءَ، واطلعتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثرَ
أهلها الفقراءَ".

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٨٥).

(٢) البخاري (٣٢٤١) و(٥١٩٨) و(٦٤٤٩) و(٦٥٤٦).

وأما كونهن أقل أهل الجنة ففي أفراد مسلم^(١) عن مُطَرِّف بن عبد الله أنه كانت له امرأتان فجاء من عند إحداهما، فقالت الأخرى: جئت من عند فلانة؟ فقال: جئت من عند عمران بن حصين، فحدَّثنا أَنَّ رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ أَقْلَ ساكني الجنة النساء".

* * *

فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب، وذكر أوصافهم

* ثبت في الصحيحين^(٢) عن أبي هريرة ؓ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تُضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر".

* ومن حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهْطُ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ، وَرُفِعَ لي سوادٌ عظيم، فظننتُ أنهم أمتي، فقبل لي: هذا موسى وقومه، ولكن أنظرُ إلى الأفق، فنظرتُ، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقبل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" ثم نهَضَ فدخلَ منزله، فخاضَ الناسُ في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: لعلهم الذين صَحِبُوا رسولَ الله ﷺ.

(١) مسلم (٢٧٣٨).

(٢) البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلِدُوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكرُوا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: "ما الذي تخوضون فيه؟" فأخبروه، فقال: "هم الذين لا يَرْقُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَنْطِيرُونَ، وعلى ربهم يتوكلون"، فقام عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ، فقال: ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: "أنت منهم" ثم قام رجلٌ آخر، فقال: ادْعُ الله أن يجعلني منهم فقال: "سبقك بها عُكَّاشَةُ"^(١).

والنبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيرهم أن يَرْقِيَهُمْ ولا يَنْطِيرُونَ وعلى ربهم يتوكلون، والطَّيْرَةُ: نوعٌ من الشرك، ويتوكلون على الله وحده لا على غيره، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكُّلِ على الله، كما في الحديث "الطَّيْرَةُ شِرْكٌ"^(٢).

قال ابن مسعود: وما منَّا إِلَّا مَنْ تَطَيَّرَ، ولكنَّ الله يُذْهِبُهُ بالتوكُّلِ. فالتوكُّلُ ينالُ التطيُّرَ، وأمَّا رقية العين فهي إحسان من الراقي، قد رقى رسول الله ﷺ جبريل^(٣)، وأذن له في الرُّقَى، وقال: "لا بأسَ بها ما لم يكن فيها شِرْكٌ"^(٤) واستأذنه فيها فقال: "من استطاعَ منكم أن ينفعَ أخاه فلينفعه"^(٥).

(١) البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٥٣٨).

(٣) مسلم (٢١٨٦).

(٤) مسلم (٢٢٠٠).

(٥) مسلم (٢١٩٩).

وهذا يدلُّ على أنها نفعٌ وإحسانٌ، وذلك مستحبٌ مطلوبٌ لله ورسوله، فالراقي محسنٌ، والمسترقى سائلٌ راجٍ نفعَ الغير، والتوكلُ ينافي ذلك.

فإن قيل: فعائشة قد رقت رسولَ الله ﷺ، وجبريلُ قد رقاها، قيل: أجل، ولكن هو لم يسترق، وهو ﷺ لم يقل: لا يرقِيهِم راق، وإنما قال: لا يطلبون من أحدٍ أن يرقِيَهُم، وفي امتناعه ﷺ أن يدعو للرجل الثاني سدَّ لباب الطلب، فإنه لو دعا لكلِّ مَنْ سألَه ذلك؛ فربما طلبه مَنْ ليس من أهله، والله أعلم.

* * *

في ذكرِ حثياتِ الرَّبِّ تبارك وتعالى الذين يُدخلهم الجنةَ

* عن أبي أمامة ؓ، عن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الله وعدني أن يدخل الجنةَ من أمتي سبعينَ ألفًا بغيرِ حسابٍ" قال يزيد بن الأحنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلَّا مثل الذبابِ الأصهبِ في الذبابِ، قال رسول الله ﷺ: "فإن الله وعدني سبعينَ ألفًا، مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا، وزادَ في ثلاثِ حثياتٍ"^(١).

* عن أبي بكر بن عمير، عن أبيه ؓ أن النبي ﷺ قال: "إن الله وعدني أن يُدخلَ من أمتي ثلاثمائة ألفٍ الجنةَ" فقال عميرُ: يا رسول الله زدنا فقال هكذا بيده، فقال عميرُ: يا رسول الله زدنا فقال عمرُ: حَسْبُكَ يا عمير،

(١) المسند (٥/٢٥٠)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد وبعض أسانيد الطبراني: رجال الصحيح.

فقال: ما لنا ولك يا ابن الخطاب، وما عليك أن يُدخلنا الله الجنة، فقال عمر: إن الله عزَّ وجلَّ إن شاء أدخلَ الناسَ الجنةَ بحفنةٍ أو بحثيةٍ واحدةٍ، فقال نبيُّ الله ﷺ: "صدق عمر"^(١).

* عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يدخلُ الجنةَ من أمتي سبعون ألفاً"، قالوا: زدنا يا رسول الله، فقال: "وهكذا"^(٢) وحَتَّى بيده، قالوا: يا نبي الله، أبعد الله مَنْ دخل النَّارَ بعد هذا.

* * *

في ذكرِ تربةِ الجنةِ وطينتها وحصبائها وبنائها

* في الصحيحين^(٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يُحدِّث أن رسولَ الله ﷺ قال: "أَدْخِلْتُ الجنةَ فإذا فيها جَنَابُذُ اللؤلؤِ، وإذا تُرَابُهَا المسكُ" وهو قطعة من حديث المعراج.

* وروى مسلم^(٤) في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري أن رسولَ الله ﷺ سأل ابنَ صَيَّادٍ عن تربةِ الجنةِ فقال: دَرَمَكَةُ بِيضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ، فقال رسول الله ﷺ: "صدق".

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو بكر بن عمير لم أعرفه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٧٨٣)، وقال البوصيري: رواه أبو يعلى ورواته ثقات.

(٣) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٤) مسلم (١٩٢٨)، والدَّرَمَكُ: هو الدقيق الحواري الخالص البياض.

في ذكرِ غُرفِها وقُصورِها ومقاصيرِها وخيامِها

قال الله تعالى: ﴿لَيْكِنَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠] فأخبر تعالى أنَّها غُرفٌ فوقَ غُرفٍ، وأنَّها مبنيةٌ بناءً حقيقةً، لثلاثِ تَوَهَّمِ النفوسِ أنَّ ذلك تمثيلٌ، وأن ليس هناك بناءً، بل تتصوَّر النفوسُ غُرفاً مبنيةً كالعلالي، بعضها فوق بعض، حتى كأنها تنظرُ إليها عياناً، ومبنيةٌ صفةٌ للغُرفِ الأولى والثانية، أي: لهم منازلٌ مرتفعة، وفوقها منازلٌ أرفع منها.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] والغُرفةُ جنسٌ كالجنة، وتأمَّل كيف جعل جزاءهم - على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله - الغُرفَ والتحية والسلام، في مقابلة صبرهم على سوء خطابِ الجاهلين لهم، فبدَّلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧] وقال تعالى: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢].

وقال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].

* وفي الصحيحين^(١) من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: "إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً".

* وفي الصحيحين^(٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم أن جبريل قال للنبي ﷺ: "هذه خديجة أقرنها السلام من ربها. وأمره أن يُبشِّرَها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب".
والقصب ها هنا: قصب اللؤلؤ المجوف.

* وفي الصحيحين^(٣) لشاب عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننتُ أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب".

* * *

في ذكر معرفتهم لما نزلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ۖ سَيَجْزِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦] قال

(١) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٢) البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٣) البخاري (٥٢٢٦، ٧٠٢٤)، ومسلم (٢٣٩٤).

مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومسكنهم لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلُّون عليها أحدًا.

* وفي صحيح البخاري^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: "إذا خَلَصَ المؤمنونَ من النَّارِ حُبِسوا على قنطرةٍ بين الجنة والنار، يتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنة، والذي نفسي بيده، إنَّ أحدهم بمنزله في الجنة أدلُّ منه بمسكنه كان في الدنيا".

* * *

في كيفية دخولهم الجنة، وما يُستقبلون عند دخولها

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

* وفي الصحيحين^(٢) من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: "لَيَدْخُلَنَّ الجنةَ من أمتي سبعون ألفًا، أو سبعمائة ألفٍ متماسكون، آخذٌ بعضهم ببعضٍ، لا يدخلُ أولُهم حتى يدخلَ آخرُهم، وجوهُهم على صورةِ القمرِ ليلةِ البدرِ".

* * *

(١) البخاري (٢٤٤٠).

(٢) البخاري (٦٥٤٣)، ومسلم (٢١٩).

في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طَوْلُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمَعَ مَا يَحْيُونَكَ، فَإِنِهَا تَحْيَتُكَ وَتَحْيَةُ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: فَذَهَبَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فزادوه وَرَحْمَةَ اللهِ قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطَوْلُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلْ يَنْقُصُ الْخَلْقُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ"^(١).

وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم.
* وفي الصحيحين^(٢) "أَخْلَقَهُمْ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ".

وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه "أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْبِجُ الْجَنَّةَ" الحديث وقد تقدّم، وفيه: "لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً".
وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن اتراب، أي في

(١) البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٣) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

سِنٍ واحدة، ليس فيهنَّ العجائزُ والشوائبُ، وفي هذا الطولِ والعرضِ والسَّنُّ من الحكمةِ ما لا يخفى، فإنه أبلغُ وأكملُ في استيفاء اللذاتِ؛ لأنه أكملُ سَنُّ القوةِ مع عظمِ آلاتِ اللذة، وباجتماعِ الأمرين يكون كمالُ اللذة وقوَّتُها بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء، ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فأتى الاعتدال، وتناسب الخلقة يصير طولاً مع دقة، أو غلظاً مع قصر، وكلاهما غيرُ مناسبٍ، والله أعلم.

* * *

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناهم

وأعلاهم منزلةً سيّد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال مجاهد وغيره:

﴿ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ موسى، ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ هو محمد ﷺ.

* وفي حديث الإسراء أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: "رَبِّ لَمْ أَظُنْ أَنْ تَرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدًا، ثُمَّ عَلَا فَوْقَ ذَلِكَ بَمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ؛ حَتَّى جَاوَزَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى" (١).

* وفي صحيح مسلم (٢) من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ: "إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا دَخَلَ أَهْلُ

(١) البخاري (٧٥١٧).

(٢) مسلم (١٨٩).

الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: رب كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِكَ من ملوك الدنيا فيقول: رضيتُ رب! فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيتُ رب! قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها، فلم تر عينٌ ولم تسمع أذنٌ ولم يخطر على قلب بشر."

* * *

في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

* روى مسلم في صحيحه^(١) من حديث ثوبان قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبرٌ من أحبار يهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعةً كاد يضرعُ منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلتُ: ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سمَّاه به أهلُه، فقال رسول الله ﷺ: "إنَّ اسمي محمدًا الذي سمَّاني به أهلي" فقال اليهودي: جئتُ أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: "أينفعك بشيءٍ إن حدثتُكَ" فقال: أسمع بأذني، فنكتَ رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: "سَلْ" فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: "هم في الظلَّةِ دونَ

(١) مسلم (٣١٥).

الجسر" قال: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: "فقراءُ المهاجرين" قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: "زيادةُ كَبِدِ النَّوْنِ" قال: فما غداؤهم على إثرها؟ قال: "يُنْحَرُّ لَهِمُّ ثَوْرِ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا" قال: فما شرابهم عليه؟ قال: "من عينٍ فيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا" قال: صدقت، قال: وجئتُ أسألك عن شيءٍ لا يعلمه أحدٌ من أهلِ الأرضِ إلَّا نبيٌّ أو رجلٌ أو رجلان، قال: "أينفعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ"؟ قال: أسمعُكَ بأذنيَّ، قال: جئتُ أسألك عن الولد؟ قال: "ماءُ الرجلِ أبيضُ وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذا اجتمعَا فعَلَا مَنِيَّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ عَلَا مَنِيَّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آتَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى قال اليهوديُّ: لقد صدقتَ وإنَّكَ لَنبيٌّ، ثم انصرفَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: "لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علِمَ بشيءٍ منه، حتى أتاني اللَّهُ عزَّ وجلَّ به".

* * *

في ذكرِ ريحِ الجنةِ، ومن مسيرةِ كم ينشقُّ

* عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "من قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحُهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ"^(١).

(١) المسند (١٨٦/٢)، والحاكم في المستدرک (١٢٦/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

* ورواه البخاري في الصحيح^(١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: "ليوجد من مسيرة أربعين عاماً".

* وقد أخرجنا في الصحيحين^(٢) من حديث أنس قال: لم يشهد عمِّي الذي سُمِّيَ به مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشَقَّ عليه، قال: أوَّلُ مشهَدٍ شَهِدَهُ رسولُ الله ﷺ غِبْتُ عنه، فَإِنْ أَرَانِي اللهُ مشهَدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني اللهُ ما أصنعُ، قال: فهَابَ أَنْ يَقُولَ غيرها، قال: فَشَهِدَ مع رسولِ الله ﷺ يومَ أُحُدٍ، قال: فاستقبلَ سعدَ بن معاذٍ، فقالَ لَهُ: أينَ؟ فقال: وأهًا لريحِ الجنةِ، أجده دونَ أُحُدٍ، قال: فقاتلَهُم حتى قُتِلَ، قال: فوُجِدَ في جسدِهِ بضعٌ وثلاثونَ من بينِ ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ، فقالت أخته، عَمَّتِي الربيع بنت النضر: فما عرفتُ أخي إلا ببنائه، ونزلت هذه الآية ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه.

ورِيحُ الجنةِ نوعان: رِيحٌ يُوجَدُ في الدنيا تشمُّه الأرواحُ أحيانًا لا تدركهُ العباد، وريحٌ يُدْرِكُ بحاسةِ الشَّمِّ للأبدانِ، كما تُشَمُّ روائحُ الأزهارِ وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قُرْبٍ وَبُعْدٍ، وأما في الدنيا فقد يدركه مَنْ شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس ابن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول، والله أعلم.

(١) البخاري (٣١٦٦).

(٢) البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (١٩٠٣).

في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

* روى مسلم في صحيحه^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ينادي مُنادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا" وذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتُودُّوْا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

* وفي الصحيحين^(٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ قَالُوا: رَبَّنَا وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا".

* * *

في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۖ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۖ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۖ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۖ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٣]، وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وهو جمعُ

(١) مسلم (٢٨٣٧).

(٢) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

فن، وهو الغصن. وقال: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

* وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ ﴿وَوَظِلٌّ مَّمدُودٌ﴾ [الواقعة: ٣٠].

* وفي الصحيحين^(٢) عن سهل بن سعد ؓ، عن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا".

* وفي جامع الترمذي^(٣) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ". قال: هذا حديث حسن.

* وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وفي الجنة شجرة يسيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿وَوَظِلٌّ مَّمدُودٌ﴾ [الواقعة: ٣٠] وموضع سوطٍ من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَمَنْ رُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]^(٤).

(١) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٢) البخاري (٦٥٥٢)، ومسلم (٢٨٢٧).

(٣) الترمذي (٢٥٢٥)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ.

(٤) الترمذي (٣٢٩٢)، وقال: حسن صحيح.

في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

* وفي صحيح مسلم^(١) عن جابر عن النبي ﷺ قال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ".

* وعن جابر رضي الله عنه قال: بينما نحنُ في صلاة الظهر إذ تقدَّم رسولُ الله ﷺ فتقدَّمنا، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخَّر، فلما قضى الصلاة قال له أبيُّ بن كعب: يا رسول الله صنعتَ اليومَ في صلاتِكَ شيئاً ما كنتَ تصنعُهُ؟ قال: "إنه عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وما فيها من الزَّهْرَةِ والنُّضْرَةِ، فتناولتُ منها قِطْفًا من عَنَبٍ لَأَتِيَكُم بِهِ، فحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَوْ أُتِيتُكُمْ بِهِ لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَنْقُصُونَهُ"^(٢).

* * *

في زرع الجنة

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوماً يُحَدِّثُ، وعنده رجلٌ من أهل

(١) مسلم (٩٠٤).

(٢) المسند (٣/ ٣٥٢ - ٢٥٣) مطرلاً.

البادية: "إنَّ رجلاً من أهل الجنة استأذنَ ربَّه عزَّ وجلَّ في الزَّرع، فقال له: أولستَ فيما شئتَ؟ فقال: بلى، ولكنني أُحِبُّ أَنْ أزرع، فأسرعَ وبذَرَ فبادَرَ الطَّرَفَ نباتُه واستواؤُه واستحصاؤه وتكوُّرُه أمثالَ الجبال، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: دونكَ يا ابنَ آدمَ، فإنه لا يشبعُكَ شيءٌ" فقال الأعرابيُّ: يا رسولَ اللهِ لا تجِدُ هذا إلَّا قرشيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحابُ زرع، فأما نحنُ فلسنا بأصحابِ زرع، فضحك رسولُ اللهِ ﷺ^(١).
وهذا يدلُّ على أنَّ في الجنة زرعًا.

* * *

في ذكر أنهار الجنة، وعيونها، وأصنافها، ومجراها الذي تجري عليه

- قد تكرر في القرآن في عدَّة مواضع قوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي موضع: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وفي موضع: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وهذا يدلُّ على أمور:
- أحدها: وجودُ الأنهار فيها حقيقةً.
 - الثاني: أنها جارية لا واقفة.
 - الثالث: أنها تحت عُرفهم وقُصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا. وأنهار الجنة تتفجَّر من أعلاها، ثمَّ تنحدر نازلةً إلى أقصى درجاتها،

(١) البخاري (٧٥١٩) و(٢٣٤٨).

كما روى البخاري في صحيحه^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسْطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ".

* وفي صحيحه^(٢) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ اللَّوْلُؤِ الْمَجُوفِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، قَالَ: فَضْرَبَ الْمَلِكُ بِيَدِهِ فَإِذَا طِينُهُ مِنْكَ أَذْفَرُ".

* وفي صحيح مسلم^(٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: "الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ".

* وفي صحيحه^(٤) من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "سَيِّحَانُ وَجَنِّحَانُ وَالْفَرَاتُ وَالنَّيْلُ كُلُّهُمَا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ".

وأما العيون فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ - ٦] قَالَ بَعْضُ

(١) البخاري (٢٧٩٠).

(٢) البخاري (٦٥٨١).

(٣) مسلم (٤٠٠).

(٤) مسلم (٢٨٣٩).

السَّالِفِ: معهم قضبان الذهبِ حيثُما مَالُوا مَالَتْ معهم.

وقال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۖ ﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿ [الإنسان: ١٧ - ١٨] فأخبر سبحانه عن العين التي يَشْرَبُ بها المقربون صرفًا، أنَّ شرابَ الأبرارِ يُمزَجُ منها؛ لأنَّ أولئك أخلصوا الأعمالَ كُلَّهَا لله فأخلصَ شرابهم، وهؤلاء مزَّجُوا فمزَّجَ شرابهم.

* * *

في ذكر طعامِ أهلِ الجنةِ وشرابهم ومصرفه

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ۖ ﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٣] وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْثَرُ ۖ ﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢ - ٧٣] وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥] وقال تعالى: ﴿ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿ ۝ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿ [الطور: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿ ۝ خَتَمُهُ مِسْكٌ ۖ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٥ - ٢٦].

* وفي صحيح مسلم^(١) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرِيحِ الْمَسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ".

* وفي المسند وسنن النسائي^(٢) بإسناد صحيح على شرط الصحيح عن زيد ابن أرقم قال: جاء رجلٌ من أهل الكتابِ إلى النبي ﷺ، فقال: يا أبا القاسم تزعمُ أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: "نعم والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطى قُوَّةَ مائة رجلٍ في الأكل والشرب والجماع والشهوة" قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجةُ وليس في الجنة أذى، قال: "تكون حاجةُ أحدهم رَشْحًا يفيضُ من جلودِهِم كَرَشْحِ الْمَسْكِ فَيَضْمُرُ بَطْنُهُ".

* * *

في ذكرِ أنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها

قال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].
وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٧-١٨﴾ [الواقعة: ١٧-١٨].

* وفي الصحيحين^(٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "جنتانٍ من ذهبٍ، أنيتُهما وما فيهما، وجنتانٍ من فضةٍ، أنيتُهما وما

(١) مسلم (٢٨٣٥).

(٢) المسند (٣٦٧/٤)، (٣٧١).

(٣) البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٨٠)، ومسلم (١٨٠).

فيهما، وما بينَ القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبرياءِ على وجهه في جنةٍ عدنٍ".

* وفيها أيضًا^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْخَوَرُ الْعَيْنُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتُونِ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ".

* وفي الصحيحين^(٢) من حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَا تَشْرَبُوا فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهِمَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ".

* * *

**فِي ذِكْرِ لِبَاسِهِمْ وَحُلِيِّهِمْ وَمَنَادِيْلِهِمْ وَفُرُشِهِمْ
وَبُسْطِهِمْ وَوَسَائِدِهِمْ وَنَمَارِقِهِمْ وَزُرَايِهِمْ**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا

(١) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، وقال:

﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

* وفي صحيح مسلم^(١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، لَهُ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ".

* وفي الصحيحين^(٢) عن أنس بن مالك قال: أهدى أَكْبَدَرُ دُومَةٍ [الجنديل] إِلَى النبي ﷺ جُبَّةً مِنْ سُنْدُسٍ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ حُسْنِهَا، فَقَالَ: "لِمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا".

ولا يَخْفَى مَا فِي ذِكْرِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ بِخُصُوصِهِ هَا هُنَا، فَإِنَّهُ كَانَ فِي الْأَنْصَارِ بِمَنْزِلَةِ الصُّدِّيقِ فِي الْمُهَاجِرِينَ، وَاهْتَزَّ لِمَوْتِهِ الْعَرْشُ، وَكَانَ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تَمُوتُ، وَخَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، وَآثَرَ رِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى رِضَا قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَحُلَفَائِهِ، وَوَافَقَ حُكْمُهُ الَّذِي حَكَمَ بِهِ حُكْمَ اللَّهِ فَوْقَ سَبْعِ سِمَاوَاتِهِ، وَنَعَاهُ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَحَقَّقَ لَهُ أَنْ تَكُونَ مَنَادِيلُهُ الَّتِي يَمْسَحُ بِهَا يَدَيْهِ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنَ مِنْ حُلْلِ الْمُلُوكِ.

وَأَمَّا الْفُرُشُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ

(١) مسلم (٢٨٣٦).

(٢) البخاري (٦٦٤٠)، ومسلم (٢٤٦٨).

إِسْتَبْرَقَ ﴿[الرحمن: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

وَأَمَّا الْبُسْطُ وَالزَّرَابِيُّ، فقد قال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ ﴿[الغاشية: ١٣-١٦].

وأما الرفرف، فقال الليث: هو ضَرْبٌ مِنَ الثِّيابِ خَضِرٌ بُسْطٌ. وأما العبقرى، فقال أبو عبيدة: كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْبُسْطِ عَبْقَرِيٌّ.

وعبقرى جمعٌ، واحده عبقرية، ولهذا وصف بالجمع، فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الْفُرْشَ بأنها مرفوعة، وَالزَّرَابِيَّ بأنها مَبْثُوثَةٌ، وَالنَّمَارِقَ بأنها مَصْفُوفَةٌ، فَزَعُ الْفُرْشِ دَالٌّ عَلَى سُمْكِهَا وَلِينِهَا، وَبِثُّ الزَّرَابِيِّ دَالٌّ عَلَى كَثَرَتِهَا، وَأَنَّهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ لَا يَخْتَصُّ بِهَا صَدَرُ الْمَجْلِسِ دُونَ مُؤَخَّرِهِ وَجَوَانِبِهِ، وَصَفُ الْمَسَانِدِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَهْيَأَةٌ لِلِاسْتِنَادِ إِلَيْهَا دَائِمًا، لَيْسَتْ نَجْبَاءً تُصَفُّ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

* * *

فِي ذِكْرِ خِيَامِهِمْ وَسُرَرِهِمْ وَأَرَائِكِهِمْ

قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] وفي الصحيحين^(١) من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ تُجَوِّفُهُ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِيهَا

(١) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

أهلون يطوف عليهم المؤمنُ فلا يرى بعضهم بعضاً".

وفي لفظ لهما "في الجنة خيمةٌ من لؤلؤةٍ مجوفةٍ عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن" (١).

وأما السرر فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [٣] وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿٦﴾ [الواقعة: ١٣ - ١٦] وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣].

وأما الأرائك: فهي جمع أريكة، قال مجاهد عن ابن عباس ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١] قال: لا تكون أريكةٌ حتى يكون السريرُ في الحِجْلَةِ، فإذا كان سريرًا بغير حِجْلَةٍ لا يكون أريكةً، وإن كانت حِجْلَةٌ بغير سريرٍ لم تكن أريكةً، ولا تكون أريكةً إلا والسريرُ في الحِجْلَةِ، فإذا اجتمعا كانت أريكةً.

* * *

في ذكر خدامهم وغلمانهم

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [٣] بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٨] وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

(١) البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨).

* وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرَدُّونَ بَنِي ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي الْجَنَّةِ، لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَدًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ»^(١).

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالخوارج العين خدما لهم وغلما؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُكُمْ مَكُونُونَ﴾ [الطور: ٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدمين معهم، ولا يجعلهم غلمانا لهم.

* وفي حديث أنس عن النبي ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا» وفيه "يطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون"^(٢) والمكنون: المستور المصون الذي لم يتبدله الأيدي، وإذا تأملت لفظة الولدان، ولفظة ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، واعتبرتها بقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ﴾، وضممت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفا علمت أن الولدان: غلمان أنشأهم الرب تعالى في الجنة خدما لأهلها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

فِي ذِكْرِ نَسَائِهِمْ وَسَرَائِرِهِمْ وَأَصْنَافِهِمْ وَحَسَنِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ وَجَمَالِهِمْ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ الَّذِي وَصَفَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي

(١) الترمذي (٢٥٦٢)، وقال: حديث غريب.

(٢) الترمذي (٣٦١٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٥﴾ فتأمل جلالَةَ المَبَشِّرِ، ومنزلتَهُ، وصِدْقَتَهُ، وعِظَمَتَهُ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْكَ بِهَذِهِ الْبَشَارَةِ، وَقَدَّرَ مَا بَشَّرَكَ بِهِ، وَضَمِنَهُ لَكَ عَلَى أَسْهَلِ شَيْءٍ عَلَيْكَ، وَأَيَسَرَهُ.

وَجَمَعَ سَبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْبَشَارَةِ بَيْنَ نَعِيمِ الْبَدَنِ بِالْجَنَانِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْهَارِ وَالشَّمَارِ، وَنَعِيمِ النَّفْسِ بِالْأَزْوَاجِ الْمُطَهَّرَةِ، وَنَعِيمِ الْقَلْبِ وَقَرَّةِ الْعَيْنِ بِمَعْرِفَةِ دَوَامِ هَذَا الْعَيْشِ أَبَدَ الْأَبَادِ، وَعَدِمِ انْقِطَاعِهِ.

وَالْأَزْوَاجُ: جَمْعُ زَوْجٍ، وَالْمَرْأَةُ زَوْجُ الرَّجُلِ وَهُوَ زَوْجُهَا، هَذَا هُوَ الْأَفْصَحُ، وَهُوَ لُغَةٌ قَرِيشٍ، وَبِهَا نَزَلَ الْقُرْآنُ قَوْلُهُ: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقْنَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٦] فجمع لهم بين حُسْنِ الْمَنْزِلِ وَحُصُولِ الْأَمْنِ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَاشْتِمَالِهِ عَلَى الشَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَحُسْنِ اللَّبَاسِ، وَكِمَالِ الْعِشْرَةِ؛ لِمُقَابَلَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَتَمَامِ اللَّذَّةِ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَدَعَائِهِمْ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ، مَعَ أَمْنِهِمْ مِنْ انْقِطَاعِهَا وَمُضَرَّتِهَا وَغَائِلَتِهَا، وَخَتَامَ ذَلِكَ أَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَذُقُونَ فِيهَا هُنَاكَ مَوْتًا.

وَالْحُورُ: جَمْعُ حَوْرَاءَ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ، الْحَسَنَاءُ، الْجَمِيلَةُ، الْبَيضَاءُ،

شديدة سواد العين.

وقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً كما يُزَوَّجُ النعلُ بالنعل، جعلناهم اثنين اثنين.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٦٦﴾ فَبَآئِيَ ءَالًا رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٦-٥٨].

وقال تعالى في وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] المقصورات: المحبوسات.

قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٦٨﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٦٩﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٧٠﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٦٨﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٦٩﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٧٠﴾﴾ [النبا: ٣١-٣٣] فالكواعب: جمع كاعب، وهي الناهد.

* وروى البخاري في صحيحه^(١) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابٌ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِهِ - يعني سوطه - مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَطْلَعْتَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأْتُ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا".

(١) البخاري (٢٧٩٦)، ومسلم (١٨٨٠).

* وفي الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ "إِنَّ أَوَّلَ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ ذُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مَخْرُجُهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزَبُ".

ولا رَيْبَ أَنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْنِ، لما في الصحيحين^(٢) من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مَجُوفَةٍ طُولُهَا سِتُونَ مِثْلًا، لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمْ لَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا".

* * *

فِي ذِكْرِ نِكَاحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَوُطْنِهِمْ وَالتَّذَادِهِمْ بِذَلِكَ أَكْمَلُ لَذَّةٍ، وَنَزَاهَةِ ذَلِكَ عَنِ الْمَذْيِ وَالْمَنِيِّ وَالضَّعْفِ، وَأَنَّهُ لَا يُوجِبُ غُسْلًا

* في حديث أبي موسى المتَّفَقَ عَلَى صَحَّتِهِ^(٣): "إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ خِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مَجُوفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِثْلًا، لَهُ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ".
* وحديث أنس: "يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنَ النِّسَاءِ"^(٤).

(١) البخاري (٣٢٤٥) و(٣٢٤٦) و(٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٣) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٤) الترمذي (٢٥٣٦)، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

* وروى الحاكم: عن الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قال: شَغَلَهُمْ افْتِضَاضُ الْأَبْكَارِ.

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، فكما أن مَنْ شَرِبَ الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي ﷺ: "إِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ" (١).

فَمَنْ اسْتَوْفَى طَيِّبَاتِهِ وَلَذَّاتِهِ وَأَذْهَبَهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ حُرْمَهَا هُنَا، كَمَا نَعَى سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَنْ أَذْهَبَ طَيِّبَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعَ بِهَا، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ يَخَافُونَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْخَوْفِ.

ومن ترك اللذة المحرمة لله استوفاه يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاه هنا حُرْمَهَا هُنَا أَوْ نَقَصَ كِبَالَهَا، فَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَذَّةً مِنْ أَوْضَعٍ فِي مَعَاصِيهِ وَمَحَارِمِهِ، كَلَّذَةٍ مَنْ تَرَكَ شَهْوَتَهُ لِلَّهِ أَبَدًا.

* * *

في ذكر سماع الجنة، وغناء الحور العين، وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾ (٢) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿[الروم: ١٤ - ١٥].

(١) البخاري (٥٨٣١).

عن عامر بن يساف، قال: سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال: الحبرة: اللذة والسماع. ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يُكْرَمُونَ. وقال: مجاهد وقتادة: يُنْعَمُونَ.

فلذة الأذن بالسماع من الخبرة والنعيم.

* وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغْنَيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ مَا سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطَّ، إِنَّ مِمَّا يُغْنِيَنَّ بِهِ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كَرَامٍ، يَنْظُرُونَ بِقَرَّةٍ أَعْيُنٍ، وَإِنَّ مِمَّا يُغْنِيَنَّ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَ، نَحْنُ الْآمَنَاتُ فَلَا يَحْفَنُهُ، نَحْنُ الْمُقْبِيَاتُ فَلَا يَظْعَنَّهُ" (١).

ولهم سماعٌ أعلى من هذا، يَضْمَحِلُّ دونه كُلُّ سَمَاعٍ، وذلك حين يسمعون كلامَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وخطابَهُ، وسلامَهُ عليهم، ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامَهُ، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك، وسيمرُّ بك - أيها السني - من الأحاديثِ الصَّحاحِ والحِسانِ في ذلك ما هو من أحبِّ سماعٍ لك في الدنيا، وألذَّ لأذنك، وأقرَّ لعينك، إذ ليس في الجنة لذَّة أعظم من النظرِ إلى وجهِ الرَّبِّ تعالى وسماعِ كلامه منه، ولا يُعطى أهلُ الجنة شيئاً أحبَّ إليهم من ذلك.

* * *

(١) الطبراني في الصغير (١/٢٥٩ - ٢٦٠)، وقال الهيثمي في المجتمع (١٠/٤١٩)، ورواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

* عن سليمان بن يزيد، عن أبيه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هل في الجنة من خيل؟ قال: "إِنْ أَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ" قال: وسأله رجلٌ فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فَلَمْ يَقُلْ مَا قَالَ لَصَاحِبِهِ، قال: "إِنْ أَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَتْ عَيْنُكَ". وعن عبد الله بن عمرو قال: في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب يركبها أهلها^(١).

* * *

في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٧) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٨﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٩﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٦١﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٦٢﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَوْلَا رِجْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٤﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٧] أخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض

(١) عتاق الخيل: جمع عتيق، وهو الكريم الرائع.

"النجائب": جمع نجيبة ونجيب، وهو الكريم الأصيل من كل حيوان.

يتحدّثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوالِ كانت في الدنيا، فأفضت المحادثةُ والمذاكرةُ إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا يُنكرُ البعثَ والدَّارَ الآخرةَ، ويقولُ ما حكاه اللهُ عنه، يقول: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بآثَانَا نُبعثُ، ونُجَازَى بأعمالنا، ونُحاسِبُ بها بعد أن مَزَقْنَا البِلَى ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾؟ ثم يقول المؤمنُ لإخوانه في الجنةِ ﴿هَلْ أَنتُمْ مُطْلِعُونَ﴾ في النارِ لننظرَ منزلةَ قريني هذا وما صار إليه، هذا أظهرُ الأقوال.

* * *

في ذكر سوقِ الجنة، وما أعدَّ اللهُ فيه لأهلها

* قال مسلم في صحيحه^(١) عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: "إنَّ في الجنةِ لسوقًا، يأتونها كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزِدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ وَأَنْتُمْ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا".

* وروى الإمامُ أحمدُ في مسندهُ عن عَفَّانَ، عن حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ، وَقَالَ: "فِيهَا كَثَبَانُ الْمَسْكِ، فَإِذَا خَرَجُوا إِلَيْهَا هَبَّتِ الرِّيحُ".

* * *

(١) مسلم (٢٨٣٣).

في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

* عن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريلُ بمرآة بيضاء فيها وكُتِبَتْ^(١) إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "ما هذه؟" قال: الجمعة فُضِّلَتْ بها أنت وأُمَّتُكَ، فالناسُ لكم فيها تبعٌ، اليهودُ والنصارى، ولكم فيها خيرٌ، وفيها ساعةٌ لا يوافقها مؤمنٌ يدعو الله بخيرٍ إلاَّ اسْتُجِيبَ له، وهو عندنا يومَ المزيّد، قال النبيُّ ﷺ: "يا جبريلُ وما يومُ المزيّد؟" قال: إنَّ ربك اتَّخَذَ في الفردوسِ واديًّا أَفِيحَ، فيه كُتُبُ المسكِ، فإذا كان يومُ القيامةِ أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابرٌ من نورٍ عليها مقاعدُ النَّبِيِّينَ، وحفٌّ تلك المنابرَ بمنابرٍ من ذهبٍ مُكَلَّلَةٍ بالياقوتِ والزبرجدِ، عليها الشُّهداء والصّديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكُتُبِ، فيقول الله تعالى: أنا ربُّكم، قد صدَّقتم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رَضِيتُ عنكم ولكم عليّ ما تَمَنَّيْتُمْ، ولديّ مزيّد، فهم يحبون يومَ الجمعةِ لما يعطيهم فيه ربُّهم من الخير، وهو اليومُ الذي استوى فيه ربُّكم على العرش، وفيه خَلَقَ آدمَ عليه الصلاة والسلام، وفيه تقومُ السَّاعةُ^(٢).

* * *

(١) الوَكُتَةُ: هي الأثر في الشيء كالنقطة من غير لون.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده (٣٧٤) بترتيب السندي.

في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

وفي صحيح مسلم^(١) من حديث المغيرة بن شعبه، عن النبي ﷺ قال: "سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجيءُ بعدما أُدْخِلَ أهل الجنة الجنة فيقال له: ادْخُلِ الجنة، فيقول: أي ربِّ كيف وقد نزلَ النَّاسُ منازلَهُمْ وأخذوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثلُ مُلْكِ ملكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقول له: لَكَ ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيتُ ربِّ".

* * *

في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وأن موضع سوطٍ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [النجم: ١٦] فلا تعلم نفسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة: ١٦-١٧] وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفسٌ، وكيف قابل قلقهم

(١) مسلم (١٨٩).

وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بِقُرَّةِ
الْأَعْيُنِ فِي الْجَنَّةِ.

* وفي الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله
عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ،
وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مُصَدِّقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا
أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

* وفيهما^(٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لقاب قوسٍ
أُحْدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِّمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ".

* وفي حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: "أَلَا مُشَمَّرٌ لِلْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ
لَهَا، هِيَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ، وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مُشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَرَّدٌ،
وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءٌ جَمِيلَةٌ، وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ، وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارٍ
سَلِيمَةٍ وَفَاكِهَةٍ وَخُضْرَةٍ وَخَبْرَةٍ وَنَعْمَةٍ وَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ"^(٣).

فحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَذْنٍ فَإِنَّهَا منازلُ الْأُولَى فِيهَا الْمَخِيمُ
وَلَكِنَّا سَبِيُّ الْعَدُوِّ، فَهَلْ تَرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنَسْلُمُ؟!

* * *

(١) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) البخاري (٢٧٩٣)، ومسلم (١٨٨٢).

(٣) ابن ماجه (٤٣٣٢).

في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى وتجليه لهم ضاحكاً إليهم

* في الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: "هل تُضَارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحبٌ؟" قالوا: لا، قال: "فإنكم ترونه كذلك، يجمعُ الله الناس يوم القيامة مَنْ كان يعبدُ شيئاً فليتبعه، فيتبعُ من كان يعبدُ الشَّمْسَ الشمسَ، ويتبعُ من كان يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتبعُ من كان يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأُمَّة فيها شافعوها أو منافقوها، فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: نعوذُ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيأتيهم الله عزَّ وجلَّ في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا فيتبعونه، ويضربُ الصُّراطُ بين ظهرائي جهنمَ فأكونُ أنا وأمتي أوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، ولا يتكلَّم يومئذٍ إلَّا الرُّسلُ، ودعوى الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم.

"وفي جهنمَ كلاليبٌ مثلُ شوكِ السَّعدانِ، هل رأيتم السَّعدانَ؟" قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فإنَّها مثلُ شوكِ السَّعدانِ، غير أنه لا يعلمُ قَدْرَ عِظَمِها إلَّا الله عزَّ وجلَّ، تخطفُ الناسَ بأعمالهم، فمنهم الموبقُ بعمله، ومنهم المخردلُ أو المجازى، حتى ينجو».

فإذا فرغَ الله من القضاء بين العبادِ، وأراد أن يُخْرِجَ برحمته مَنْ أَرَادَ من أهل

(١) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

النار أَمَرَ الملائكة أن يُخْرِجُوا من النارِ من كان لا يشرك بالله شيئاً مَن أَرَادَ اللهُ أن يرحمه مَن يقول لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود، وتَأْكُلُ النَّارُ من ابن آدم إلا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ على النارِ أن تَأْكَلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فيخرجون من النار، قد امْتَحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِم مَاءُ الْحَيَاةِ، فينبتون كما تنبت الحبَّة في حميل السَّيْلِ.

ثم يَفْرُغُ اللهُ من القضاءِ بين العبادِ، ويبقى رجلٌ مُقْبِلٌ بوجهه على النارِ، وهو آخرُ أهلِ الجنةِ دخولاً الجنةَ، فيقول: أي ربِّ اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قَشَبَنِي رِيحُهَا، وأحرقني ذكاؤُهَا، فیدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقولُ اللهُ تبارك وتعالى: هل عسيتِ إِنْ فعلتُ ذلك أن تسألِ غيرَه، فيقول: لا أسألك غيرَه، فَيُعْطِي رَبَّهُ من عهودٍ ومواريث ما شاء اللهُ، فيصرف اللهُ وجهَه عن النار، فإذا أَقْبَلَ على الجنةِ ورآها سكت ما شاء اللهُ أن يسكتَ، ثم يقول: أي ربِّ قَدَّمَنِي إلى بابِ الجنةِ، فيقول اللهُ أليس قد أعطيتَ عهودَكَ ومواريثَكَ لا تسألني غير الذي أعطيتُكَ؟ ويليكَ يا ابنَ آدم ما أَغْدَرَكَ!! فيقول: أي ربِّ فیدعو الله حتى يقول له: فهل عسيتِ إِنْ أعطيتكَ ذلك أن تسألني غيرَه؟ فيقول: لا وعزَّتكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ ما شاء من عهودٍ ومواريث، فيقدمه إلى بابِ الجنةِ فإذا قام على بابِ الجنةِ انفَهَقَتْ له الجنةُ، فرأى ما فيها من الخيرِ والسرورِ، فسكت ما شاء اللهُ أن يسكتَ، ثم يقول: أي ربِّ أدخلني الجنةَ، فيقول اللهُ تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيتَ عهودَكَ ومواريثَكَ أَنْ لا تسألني غير ما أعطيتَ، ويليكَ يا ابنَ آدم ما

أُغدركَ؟ فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنّ، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره، فيقول: تمنّ كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله عز وجل: ذلك لك ومثله معه".

قال أبو هريرة: "وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة".

* وعن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: "إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا" ثم قرأ قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

* * *

في تكليمه سبحانه لأهل الجنة، وخطابه لهم، ومحاضرتهم إياهم، وسلامه عليهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]. وقال في حق الذين يكتُمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

وقد أخبر سبحانه أنه يُسَلِّم على أهل الجنة وأن ذلك السلام حقيقة، وهو قول من ربّ رحيم.

* وفي حديث أبي هريرة في سوق الجنة وهو قول النبي ﷺ: "ولا يبقى أحدٌ في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرةً، فيقول: يا فلانُ أتذكرُ يومَ فعلتَ كذا وكذا" (١). الحديث.

وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم.

قال البخاري في صحيحه باب: "كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة"، وساق فيه عدة أحاديث: فأفضلُ نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم.

* * *

في أبدية الجنة وأنها لا تَفْنَى ولا تَبِيد

هذا مما يُعَلِّم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَيُفَى الْوَعْدُ لَهُمْ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي مقطوعٌ.

وقد أكّد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأيد في عدّة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضمّمته إلى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تبيّن لك

(١) الترمذي (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦).

المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموت الأولى من جملة الموت، فهذه مorte تقدمت على حياتهم الأبدية وذلك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها وبالله التوفيق.

* وفي قول النبي ﷺ "مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَيْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ"^(١) وقوله: "يُنَادِي مُنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَحْيَا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا"^(٢).

* وثبت في الصحيحين^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: "يُجَاءُ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فِيطْلَعُونَ مَشْفِقِينَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فِيطْلَعُونَ فَرِحِينَ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، فَيُذْبِحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ".

* * *

في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها

* في الصحيحين^(٤) من حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنِّي لَا أَعْلَمُ آخَرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ

(١) مسلم (٢٨٣٦).

(٢) مسلم (٢٨٣٦).

(٣) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٤) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فيقول الله له: اذْهَبْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنِهَا مَلَأَى، فِيرْجِعُ فيقول: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فيقول الله له: اذْهَبْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ، قال: فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنِهَا مَلَأَى، فِيرْجِعُ فيقول: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فيقول الله له: اذْهَبْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعِشْرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عِشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، قال: فيقول: أَتَسْخَرُ بِي وَتَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟" قال: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قال: فَكَانَ يَقُولُ: "ذَلِكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً".

* وفي صحيح مسلم^(١) عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيُقالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعَرَّضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ فيقالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا، فيقول: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعَرَّضَ عَلَيْهِ، فيقالُ له: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فيقول: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا! فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ".

* وفي صحيح مسلم^(٢) مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَمِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فيُقالُ له: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فيقول: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ

(١) مسلم (١٩٠).

(٢) مسلم (١٨٩).

الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثلُ مُلْكٍ
 مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقال: ذلك لك ومثله ومثله
 ومثله ومثله فيقول في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: لك هذا وعشرةُ
 أمثاله، ولك ما اشتئتُ نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيتُ ربِّ قال:
 فأعلاهم منزلةً؟ قال: ذلك الذي أُرِدْتُ، غرست كرامتهم بيدي، وختمتُ
 عليها فلم ترَ عَيْنٌ، ولم تسمعُ أُذُنٌ، ولم يَخْطُرْ على قلبٍ بشرٍ ومصادقه في
 كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

* * *

فصول منثورة لم تُذكر فيما تقدم

(فصل)

في أن الجنةَ يبقى فيها فضلٌ، فيُنشئُ الله لها خلقًا دون النارِ:

في الصحيحين^(١) عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ
 يُلْقَى فيها وتقول: هل من مزيدٍ، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فينزوي
 بعضها إلى بعض، وتقول قَطُ قَطُ، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضلٌ
 حتَّى يُنشئ الله لها خلقًا فيُسكنهم فضل الجنة».

(١) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(فصل)

في امتناع النوم على أهل الجنة :

عن جابر قال: سُئِلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فقيل: أينام أهل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ»^(١).

(فصل)

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها :

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فيقول: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فيقول: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»^(٢).

(فصل)

في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله :

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١].

(١) أخرجه الديلمي مطولاً (٦٩٠٧) في الفردوس، والبخاري (٣٥١٧) مختصراً، وقال الهيثمي في المجمع (٤١٥/١٠) ورجال البخاري رجال الصحيح.

(٢) المسند (٥٠٩/٢)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح؛ غير عاصم بن بهدلة، وقد وثق.

(فصل)

في أن الجنة تتكلم :

قد تقدّم قوله ﷺ: «احتجت الجنة والنار»^(١).

(فصل)

في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن :

في حديث معاذ بن جبل وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا»^(٢).

* * *

في ذكر المستحق لهذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ﴿البقرة: ٢٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿الْآبَاءُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

(١) البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦)، وقد تقدم.

(٢) الترمذي (١١٧٤)، والمسند (٢٤٢/٥)، وقال الترمذي: حسن غريب.

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ [فصلت: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾
الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ
هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ [الزمر: ١٧ - ١٨] وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ ﴿ [البقرة: ١٩٠] يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ
﴿ [النساء: ١٣] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ [التوبة: ٢٠ - ٢٢] وقال
تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿ [الشورى: ٢٢ - ٢٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ
الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿ [يس: ١١].

* وهذا في القرآن كثير، مقداره على ثلاث قواعد:

إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة.

فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشري دون مَنْ عداهم مِنْ سائر
الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وهي تجتمع في أصلين:
إخلاص في طاعة الله.

إحسان إلى خلقه.

وضدّها يجتمع في الذين يُراؤون ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلة
واحدة وهي موافقة الربّ تبارك وتعالى في محابّه، ولا طريق إلى ذلك إلّا

بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل: فهي بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول في كل ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجابًا واستحبابًا؛ كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما قال الشافعي رحمه الله: الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه.

* * *

(فصل)

الخاتمة

ونختم هذا الكتاب بما ابتدأنا به أولاً، وهو خاتمة دعوى أهل الجنة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩٠﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠-٩١].

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة المختصر
٥	مقدمة المؤلف
٨	في بيان وجود الجنة الآن
٩	في ذكر عدد أبواب الجنة
١٠	في ذكر سعة أبوابها
١١	في صفة أبوابها وأنها ذات حِلَقٍ
١٢	في مفتاح الجنة
١٣	في توقيع الجنة ومنشورها
١٧	في توحيّد طريق الجنة
١٩	في درجات الجنة
٢١	في ذكر أعلى درجاتها
٢٢	في عرض الرّبّ تعالى سلعته الجنة على عباده
٢٤	في طلب أهل الجنة لها من ربهم
٢٥	في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها
٢٩	في عدد الجنات، وأنها نوعان
٣٠	في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان
٣١	في ذكر بوابي الجنة وخزنتها
٣٢	في ذكر أول من يقر باب الجنة
٣٣	في ذكر أول الأمم دخولاً الجنة

- ٣٣ في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة
 ٣٥ في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة
 ٣٥ في ذكر أصناف أهل الجنة
 ٣٨ في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ
 ٣٨ في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال
 ٤٠ فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب
 ٤٢ في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يُدخلهم الجنة
 ٤٣ في ذكر ثروة الجنة وطيبتها وحصبائها وبنائها
 ٤٤ في ذكر غرفها وقصورها ومقاصرها وخيامها
 ٤٥ في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة
 ٤٦ في كيفية دخولهم الجنة
 ٤٧ في ذكر صفة أهل الجنة
 ٤٨ في ذكر أعلى أهل الجنة منزلته وأدناهم
 ٤٩ في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها
 ٥٠ في ذكر ريح الجنة
 ٥٢ في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها
 ٥٢ في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها
 ٥٤ في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها
 ٥٤ في زرع الجنة
 ٥٥ في ذكر أنهار الجنة وعيونها
 ٥٧ في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

٥٨	في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون
٥٩	في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم
٦١	في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم
٦٢	في ذكر خدمهم وغلمانهم
٦٣	في ذكر نسائهم وسراريهم وأصنافهن
٦٦	في ذكر نكاح أهل الجنة
٦٧	في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين
٦٩	في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم
٦٩	في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً
٧٠	في ذكر سوق الجنة
٧١	في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم
٧٢	في ذكر مُلْك الجنة
٧٢	في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال
٧٤	في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى وتجليه لهم ضاحكاً إليهم
٧٦	في تكليمه سبحانه لأهل الجنة وخطابه لهم
٧٧	في أبدية الجنة وأنها لا تنفنى ولا تتبدل
٧٨	في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها
٨٠	فصول منشورة
٨٢	في ذكر المستحق لهذه البشارة دون غيرهم
٨٥	الخاتمة
٨٦	الفهرس